رابطة العالم الإسلامي
المجمع الفقهي الإسلامي

مؤتمر الانحرافات الفكرية بين
حرية التعبير ومحكمات الشريعة

أداة المحكمات وأثرها في أمن وسلامة الفرد والمجتمع من الفكر الإلحادي

إعـــداد:
عمار علي سليمان
عضو هيئة التدريس بالكلية التقنية بحفر الباطن

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

يمر عصرنا في بحر متلاطم من الشبهات التي تزلزل كيان النفس وتربك سير العقل، عصر أضحى فيه الإنسان علامة للتيه ورمزاً للضياع، وزاد هذا البلاء ما اختصرته وسائل التواصل الحديثة في سرعة نقل الشبهة، فهي كالطير يتخطف القلوب فيغرقها في بحور الشك ويذهب عنها برد اليقين بضغطة زر.!

و اشتبكت هذه العناصر مع غلبة المزاج المادي على الإنسان بفعل الانتصارات العلمية وتمكن النزعة الاستهلاكية من حياة البشر؛ مما أضعف صلتهم بمنابعهم الروحية وأضعف طلب التحصين في قلوبهم.

صبت هذه الأسباب وغيرها[1] في بروز النزعة الإلحادية في المجتمعات الغربية وتبعاً في مجتمعاتنا وأصبح صوتها يتصاعد محاولاً أن يجد له قلباً فيخرب صفاءه أو عقلاً فيبعثر استقامته، فكان لزاماً على كل من يجد في نفسه القدرة على معالجة هذه الأزمة أن لا يتوانى عن تقديم ما عنده ليرد قلباً جائعاً إلى راحة واطمئنان، ويسكت شبهاً تُطل برؤوسها السوداء فتفتك بسلامة الفرد وتعبث باستقرار المجتمع.

لكل هذا كانت هذه الورقات التي أحاول من خلالها تجاوز حالة رد الفعل إلى التأصيل؛ لما للتأصيل من قوة في رد الشبهات قبل وقعها، ووقع اختياري على أداة قرآنية في غاية القوة والجمال وهي أداة المحكمات التي سأتخذها قبلتي في الرد على ضعف الإلحاد وشبهاته.

(١) لمزيد من معرفة الأسباب يراجع كتاب الدكتور هشام عزمي، الإلحاد للمبتدئين، دار الكتاب، صفحة ٢٦-٤٩.

أبيض

خطة البحث

- **مقدمة تعريفية في أداة المحكمات من حيث معناها اللغوي والاصطلاحي، ثم تقديم مسوغات للتعريف الذي تم اختياره لبناء البحث عليه.**
- **أهمية أداة المحكمات، و تأتي من عدة زوايا:**

١ – أنها أداة قرآنية ونبوية.

٢ – قلة ما كتب في هذا الباب على أهميته في رد أصول الشبهات ومبانيها.

٣ – أنها أداة يمكن تطويرها لتشمل كثيراً من المباحث والمعارف الحديثة والقديمة.

- **أصلها واستمدادها:**

١ – الاستمداد النقلي المتمثل بالقرآن والسنة.

٢ – الاستمداد العقلي المعتمد على فطرية هذه الأداة وأهميتها لاتساق العقل مع أحكامه.

- **أثرها على أمن الفرد من عدة جوانب:**

١ – الأثر العقدي ويشمل:

(أ) الدين كأصل محكم للبشرية مقارنة بالإلحاد.

(ب) الغاية و البحث عن المعنى كأصل محكم في حياة البشر مقارنة بفوضى – متشابه – الإلحاد.

(ج)أثر أداة المحكمات في الحفاظ على الاتزان المعرفي عند الشخص.

٢ – الأثر النفسي وقيمة أداة المحكمات في الاتزان النفسي وسلامة الصدر عند الأفراد.

- **أثر أداة المحكمات على أمن المجتمع ضمن عدة جوانب:**

١ – الجوانب الأخلاقية ورد الشبهات المثارة حول الأخلاق باستخدام أداة المحكمات.

٢- أثر أداة المحكمات في حماية المجتمع من الأفكار الوافدة بما تقدمه للشخص والمجتمع من أسس متينة لرد متشابهات الأفكار لأصولها .

٣- قيمة أداة المحكمات في الحفاظ على أمن وتماسك المجتمع، من خلال ما تصنعه من اتساق فكري ومشترك مجتمعي.

- **فصل تطبيقي أرد فيه على شبهات متعلقة بعلم الأحياء والفيزياء وغيرها من خلال أداة المحكمات.**

مقدمة تعريفية في أداة المحكمات من حيث معناها اللغوي والاصطلاحي ومسوغات التعريف المختار

التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب: «أحكمت الشيء فاستحكم صار محكماً واحتكم الأمر واستحكم وثق، وحكم الشيء أحكمه كلاهما منعه من الفساد... ومنه حكمة الدابة سميت بهذا المعنى لأنها ترد الدابة».

وقال: المحكم الذي لا اختلاف فيه و لا اضطراب[1].

«وجاء في القاموس المحيط: بناء محكم أي ثابت يبعد انهدامه ، أحكمه أتقنه ومنعه من الفساد»[2].

التعريف الاصطلاحي:

«المحكم يطلق بإطلاقين: عام وخاص، فأما الخاص فالذي يراد به خلاف المنسوخ، وهي عبارة علماء الناسخ والمنسوخ سواء علينا أكان ذلك الحكم ناسخا أم لا، فيقولون هذه الآية محكمة وهذه الآية منسوخة، وأما العام فالذي يعنى به البيِّنُ الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره، فالمتشابه بالإطلاق الأول هو المنسوخ وبالإطلاق الثاني الذي لا يتبين المراد به من لفظه كان مما يدرك مثله بالبحث والنظر أم لا وعلى هذا الثاني مدارك كلام المفسرين في بيان معنى قول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ**﴾ (آل عمران: ٧)، ويدخل تحت المتشابه والمحكم بالمعنى الثاني ما نبَّه عليه الحديث من قول النبي: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات» فالبيّن هو المحكم وإن كانت وجوه التشابه تختلف بحسب الآية والحديث، فالمعنى واحد لأن ذلك راجع إلى

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، مادة حكم ص(٣/ ٧٧٠-٧٧٢).
(٢) القاموس المحيط مادة حكم (١٤١٥).

فهم المخاطب وإذا تؤمل هذا الإطلاق وجِد المنسوخُ والمجمل والظاهر والعام والمطلق قبل معرفة مبيِّناتها داخلةً تحت معنى المتشابه كما أنّ الناسخَ وما ثبت حكمُه والمبيَّنَ والمؤوَّل والمخصَّص والمقيَّد داخلةٌ تحت معنى المحكَم»[1].

التعريف المختار:

ويعرفه الدكتور الشريف حاتم العوني المحكم بأنه: «كل ثابت بأدلة يقينية، يكون عاصمًا للفكر من الانحراف لشدة إتقانه وقوة بنائه الفكري، ويكون الخلل فيه سببًا في الخلل في التفكير»[2].

وكان اختياري تعريف الدكتور الشريف حاتم لعدة مسوغات:

١- أنه عام يدخل فيه المباحث القرآنية والكونية والإنسانية.

٢- تشكل الحقيقة - أي مفهوم الحق - أهم محور ومنطلق في حياة البشر، فبدون نظامٍ محكمٍ يقيني لن تستوي المعرفة، ولن تقر أخلاق، ولن يُعرف صحيح من سقيم وكل هذا يتضمنه التعريف.

٣- القول المضاد لليقين الذي هو أس التعريف وانعدامه يؤدي إلى نسبية الحقيقة ويُدخل صاحبه في إشكال عميق؛ حيث إنه قول متناقض بذاته.

فيتضح من خلال هذه المسوغات القيمة المنهجية لهذا التعريف حيث يتجاوز التعريف الاجرائي المختص في مباحث الأصول ويوسع دلالته؛ مما يتيح لنا توسيع مناطق الاشتغال التي يمكن أن تحاكمها هذه الأداة في أثناء رحلة الإنسان في البحث عن معنى لوجوده.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبي إسحاق الشاطبي، بشرح: الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، ص ٣/ ٦٣.

(٢) الشريف حاتم العوني، المُحكمات صمام أمن الأمة و أساس الثبات، الإدارة العامة للإعلام و الثقافة، إدارة الثقافة و النشر، سلسلة دعوة الحق كتاب محكم ١٤٣٢ هـ، ص٨.

أهمية أداة المحكمات

١ - أنها أداة قرآنية ونبوية:

يعتقد البعض بناء على مقدمة مغلوطة أن هناك مفاصلة وصراعاً بين العقل والنقل، وبناء عليه يجعل النص القرآني والنص النبوي خارج نطاق المحاجة، وأن هذه الأدلة داخلة في نطاق الإيمان ولا دخل لها في المباحث العقلية، وهذه النظرة خاطئة من عدة أوجه:

(أ) أن الله تعالى جعل كتابه الناطق بالحق والحاكم بالميزان وهذه الأمور هي من أساس المحاجة والمجادلة، قال تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**﴾ (الشورى: ١٧).

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: «يعني القرآن قوله (بالحق والميزان)، والميزان هو العدل ليقضي بين الناس بالإنصاف[١]. هذا من حيث التأصيل». ومن حيث التطبيق يقول الطاهر ابن عاشور:

«قد علمتم أن من جملة محاجة المشركين في الله ومن أشدها تشغيباً في زعمهم مُحاجتهم بإنكار البعث كما في قولهم: ﴿**هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ**﴾ (سبأ: ٧-٨)، وقال شداد بن الأسود:

يخبرنا الرسول بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام.

وقد دحض الله حجتهم في مواضع من كتابه ينفي استحالته، وبدليل إمكانه، وأومأ هنا إلى مقتضى إيجابه، فبين أن البعث والجزاء حق وعدل فكيف لا يقدره مدبر الكون ومنزل الكتاب والميزان»[٢].

ففي هذه الأمثلة يتضح أن القرآن كتاب حججٍ من حيث التأصيل - وهذا

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن،الإمام ابن جرير الطبري، دار هجر، الطبعة الأولى، صفحة(٢٠/ ٤٨٩).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، صفحة(٢٥/ ٦٧).

كثير في القرآن - ومن حيث التطبيق كما ذكره صاحب التحرير والتنوير وهذا أيضاً كثير في كتابه جل وعلا، مما يجعل فصل القرآن بالإيمان وإقصاءه عن العقل والعقلانية عملية تعسفية ليس عليها برهان شرعي.

(ب) من حيث مفهوم العقل نفسه:

فقد حاول الغرب من أيام اليونان تأطير المنطق وحصره في نماذج محددة تكون هي العقل فقط، وتبعهم عدد من أهل القبلة في ذلك حتى وصل الحال بفرض التعارض بين العقل والنقل مما دفع شيخ الإسلام يؤلف كتابه العظيم درء تعارض العقل والنقل يقول في ذلك:

«فمن تبحر في المعقولات، وميز بين البينات والشبهات، تبين له أن العقل الصريح أعظم موافقة لما جاء به الرسول، وكلما عظمت معرفة الرجل بذلك، عظمت موافقته للرسول»[1].

ويقول في موطن آخر: «الكتاب والسنة قد بينا الحق وبينا الطرق التي يعرف بها الحق، وذكرا من الأدلة العقلية و الأمثلة المضروبة، التي هي مقاييس برهانية، ما هو أكمل في تحصيل العلم واليقين مما أحدثه أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة»[2].

وبقي هذا النفس متغلغلاً في أروبا حتى عصر ديكارت وفي هذا يقول الدكتور الطيب بوعزة: «إن ديكارت لما وضع العقل كمرجعية معرفية، بمعناه كجوهر مفكر قادر على بلوغ الحقيقة بمفرده ومعزل عن أي سند ما ورائي، فإنه - سواء وعى ذلك أم لم يع - أرسى لأروبا عقيدة جديدة تم فيها تأليه العقل ورفعه إلى مقام المطلق»[3].

و أما حديثاً فيقول جاك غودي في كتابه (الشرق في الغرب): «عادة ما تقرن

---

(١) درء التعارض : (١/ ٣٥٧).

(٢) المرجع السابق: (٧/ ٢٨٩).

(٣) في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، الطيب بوعزة، نماء مركز نماء للبحوث والدراسات، ص (١٦).

نهضة الغرب، عند الغربيين، بكونه يمتلك شغفاً بعقلانية لا توجد عند غيرهم»[1].

فهنا مكمن الغلط الثاني في فصل الوحي عن العقلانية حيث تُصور العقل أنه شيء مفارق قائم بذاته يستطيع الوصول لكنه الحقيقة دون سندٍ من وحي أو غيره؛ فورطت البشرية نفسها بتوثين عقلها وجعله شيئاً واحداً مع أن الواقع يشهد عقلانيات كثيرة لا واحدة كما يقرر قديماً الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة وكما هو مشروع الدكتور طه عبد الرحمن حديثاً.

وبهذا يتضح أنه بتفعيل هذه الأداة نعيد للقرآن موضوعه الذي أراده الله له، فهو معيار للحق وفيصل في الحكم والعدل، وهو العقلانية بأسمى معانيها والحجة بصورتها البيضاء النقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

وأختم هذه الأهمية بنص للباحث الشيخ عبد الله العجيري من كتابه (مليشيا الإلحاد) عن أهمية إعادة تفعيل النص القرآني في الجدل والمحاجة حيث يقول:

«وإني أعتقد جازماً أن أكبر التحديات التي تواجه الدعوة في مستقبل الأيام هو في إعادة (النص القرآني) ليكون الأصل الذي ينبني عليه فهم الدين، وتشكيل التصورات والقناعات، ليكون هو (الحكم الحق) في تقييم مختلف الأطروحات والرؤى والأفكار، ولتترتب وفقه أولوياتنا العلمية والتربوية والدعوية وغيرها»[2].

٢- قلة ما كتب في هذا الباب على أهميته في رد أصول الشبهات ومبانيها:

أكثر ما كتب في بحث المحكمات كان من الناحية الأصولية ومن ناحية دلالة النص ووضوح بيانه فيكون محكماً ومرجعاً أو من حيث غموضه فيكون مبهماً ومتشابهاً، وهذا السياق قتل بحثاً في تراثنا العظيم، ولكن مع تكاثر الشبهات

---

(١) Goody, J, (1996) The East in the West, Cambridge, p,11.

(٢) مليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، صفحة (١٩٣).

وتنوع أساليبها ظهرت الحاجة لتفعيل هذه الأداة خارج حدود هذا المبحث الأصولي وتوسيعها لتشمل مجموعة من المباحث الكونية والإنسانية الحديثة.

وما اطلعت عليه في هذا الباب قليلٌ جداً فمنه:

(أ) كتاب الدكتور حاتم العوني المعنون بـ«المحكمات صمام أمن الأمة و أساس الثبات»، وله إصدار من رابطة العالم الإسلامي، و إصدار ثانٍ من الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

وهو كتاب جيد جداً كمدخل لهذا الباب حيث ربط هذه الأداة بمفاهيم أوسع من الاستعمال الأصولي؛ بربطها بأمن وأمان المجتمع، إلا أنه لم يتوسع في ربط هذه الأداة في الحالة الإلحادية وآثارها كما هو في فهذا البحث.

(ب) كتاب الدكتور عابد السفياني (المحكمات حوارات و تطبيقات) ، وهو من إصدار مركز الفكر المعاصر.

ومن ميزات الكتاب توسعه في شرح المحكمات أصوليا ومذهبياً ثم ربطها بأمن وسلامة المجتمع والتكثيف من التطبيقات العملية، إلا أنه كسابقه لم يتوسع في الرد على الحالة الإلحادية من خلال هذه الأداة المهمة، ويحسب للكتابين أنهما فتحا الباب لباكورة من الأعمال التي ستعتمد على هذه الأداة ومنها هذا البحث.

(ج) بعض الملامح التي نشرها الشيخ عبد الله الشهري في حواراته و في كتابه (ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم و الإيمان)، وكذلك أشار إليها الدكتور هشام عزمي في كتابه (الإلحاد للمبتدئين من إصدار دار الكتاب) ومثله الدكتور عبد الله العجيري في كتابه (مليشيا الإلحاد من إصدار مركز تكوين).

وتنبع أهمية هذه الكتب من أنها خصصت هذه الأداة للرد على الحالة الإلحادية مباشرة فبحثت في تأصيل هذه الأداة وتطبيقها، لكنها جاءت في سياق الكتاب العام ولم يكن الكتاب مخصصا لها بل لها ولغيرها مما يجعل الاستغراق في تفعليها نقطة ضعف للكتاب؛ لأن الكتاب أتى عاماً لوصف وتفعيل جميع

الأدوات، وطبعاً هذه التأصيلات المختصرة هي أهم ما جاء في هذا الباب ومنها انطلقت فكرة هذا البحث وتطبيقاته.

ومن هذا العرض السريع تتضح الأهمية في الشروع في بحث مستقل لهذه الأداة نتيجة قلة الكتابات التي اعتنت بها من الناحية الإلحادية.

٣- أنها أداة ممكن تطويرها لتشمل كثيراً من المباحث والمعارف الحديثة والقديمة:

وأما الأهمية الثالثة لهذه الأداة أنها أداة كلية نستطيع توسيع نطاق تفعليها على كثير من العلوم المعرفية، فكما سيتضح في البحث سأحاول تفعيلها في جانب المباحث الفلسفية في البحث عن المعنى، وفي المباحث البيولوجيا المتعلقة في نظرية دارون، وفي علوم الفيزياء، وفي دراسة الأخلاق وأصلها.

و ستتضح هذه الأهمية في أثناء تطبيق هذه الأداة على هذه العلوم والمعارف للتشابك مع المعارف القديمة فتبين قدرة هذه الأداة وقوتها التفسيرية والتطورية على مدار الأزمنة المتعددة.

أبيض

أصلها واستمدادها

١ - الاستمداد النقلي المتمثل بالقرآن والسنة:

تمثل الآية السابعة من سورة آل عمران الأصل والمشروعية لهذه الأداة بل وجب استخدامها لحماية القلب من الزيغ والضلال حيث يقول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران: ٧).

ومن هذه الآية يتضح لنا عدة أمور مهمة:

(أ) ربط الابتعاد عن هذه الأداة بزيغ القلب والضلال وهو من أشد العقوبات التي قد تحصل بأن يُجعل نظره وبحثه سبباً لزيغ قلبه؛ لأنه سار على غير هدى و تمسك بمتشابه الأمر وترك محكمه.

(ب) تحذير الآية وجاء على وجهين:

- الوجه الأول التحذير من إعمال المتشابه في النظر لآيات الله المسطورة ومنها يصح القياس في التحذير من إعمال المتشابه في آيات الله المنظورة.
- الوجه الثاني الحذر ممن يروج لهذه المتشابهات وهم في هذا العصر قد يكونوا علماء فيزياء أو أحياء أو غيرهم.

وأما من ناحية الحديث:

فحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت : «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾.

قالت : فقال : رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[1].

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) .

٢- الأصل والاستمداد العقلي:

تحضر أداة المحكمات جلية في النظر العقلي حيث أن «الصبي إذا رأى ضربة حصلت على رأسه، قال: من ضربني؟ من ضربني؟ وبكى حتى يعلم من ضربه».

«وإذا قيل له: ما ضربك أحد، أو هذه الضربة حصلت بنفسها من غير أن يفعلها أحد، لم يقبل عقله ذلك، وهو لا يحتاج في هذا العلم الفطري الذي جُبل عليه إلى أن يستدل عليه بأن حدوث هذه الضربة في هذه الحال، دون ما قبلها وما بعدها، لا بد له من مخصص، بل تصور هذا فيه عسر على كثير من العقلاء»[١].

يظهر في مثال الطفل جلياً أن محكم الرأي عنده أن لكل سبب مسبباً، فإن قلت له: إنه لم يفعله أحد بحكم أنه لم ير الفاعل لم يتقبل عقله هذا التعليل - بالمتشابه - ورد الأمر لمحكمه وطلب الفاعل.

هذه من الناحية الفطرية المسكونة بتسييج الحكم بنظام يستطيع رد متشابه الأمر لمحكمه حتى تستقيم حياة بني آدم، فلو تصورنا أن نمحو علاقة بصديق لمجرد غلطة دون أن نرد أعماله إلى محكم تعاملاته معنا؛ لم يستقم لنا صديق، ولو قررنا أن نتخلى عن العلم لأنه قد ظهرت به بعض فوضى - متشابه - لما استقام لنا علم.

وعليه تكون أداة المحكمات أصلاً قوياً لصحة النظر العقلي واستقامته بل وصحة النطاق العملي في المعاملات، دونها لن يستقيم لنا علم ولا خلق ولا دنيا، وفي هذا المعنى تقول جماعة بوريال المهتمة بالنظام الحججي في حياة البشر «إن الإنسان فيه نزوع طبيعي نحو التعليل ، حتى وإن جهل العلل الحقيقية»[٢].

ولنربط هذا النص بما قاله آينشتاين: «إن أكثر الأمور غير المفهومة في الكون، أنه قابل للفهم»[٣]!

---

(١) درء التعارض، شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٨-٣٠٥.

(٢) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحِجَاج والتناظر الفكري،د. محمد بن سعد الدكان ن مركز نماء للبحوث والدراسات، ص ١٨٤.

(٣) "Physics and Reality" in Journal of the Franklin Institute (March 1936).

لنستطرد في ربط هذه المقولات والكشف عن جمالها العقلي وعلاقتها بالمحكمات، في البداية نتوقف مع قول أينشتاين عن قابلية فهم الكون ونتساءل: كيف نفهم الكون؟

للإجابة على هذا السؤال لابد من استحضار عنصرين أساسيين:

١- التنظيم الدقيق للكون وهو ما يسمى (**الكون المعد بعناية The Fine - Tuned Universe**) حيث إن هناك مجموعة من الثوابت الكونية تحكم سير عمل الكون، فلو اختلت بمقدار بسيط جدًا يصبح الكون غير صالح للحياة ولا للفهم.

٢- طبيعة التعليل الذي تكلمت عنه جماعة بوريال حيث إن هذا التعليل مُشكل عقلياً ، فكيف تُفهم هذه البنية المحكمة الدقيقة المتناثرة في الكون؟ الإجابة المجملة من خلال إعمال العقل للكليات والتجريد، فهو يقوم باستحضار المشترك ويجرده على مجموعة من الظواهر ليحكم على ظاهرة أخرى من خلال أداة القياس.

وهنا يحدث التناغم بين المحكم العقلي بقدرته على بناء المشتركات ثم تجريدها لتصبح قابلة للفهم، وبين المحكم الكوني الذي بُني في الأصل ليفهمه الإنسان ويتفاعل معه مشكّلاً لوحة إبداعية تدل على تمام حكمة الخالق سبحانه.

فمن خلال هذا الربط يتضح لنا السند العقلي القوي بين أداة المحكم وصحة الحكم العقلي؛ حيث لو أن العقل حكّمَ المتشابه في قضايا الكون لما تناغم مع هذا النظام الذي هو غاية في الإحكام فسبحان من نظم الكون وأعطى الإنسان القدرة العقلية على فهمه..

أبيض

أثرها على أمن الفرد

تمضي بنا الحياة مسرعة لا تلتفت لأحلامنا التي تسرقها الأيام، وتنساب منا الليالي دون استئذان، في ظل هذا العمر القصير والواقع المعقد الذي يزيد العمر قصراً وهماً، ونظراً للسرعة التي فُرضت علينا قسراً؛ كان لابد من أساس يركن إليه الإنسان للاستراحة من هذا التعب المتواصل وهذا الهم المتراكم الذي هو ميزة عصرنا، ولا أجد من أساس أجمل من برد اليقين الذي يؤسس على المحكم، فهو شجرة ثابتة في تربة لا تسكن، وهو القمر المشع المنير بين أحشاء الظلام، ولهذا كان لابد من إطلالة على أثر هذه الأداة في الفرد من عدة زوايا.

١ - الأثر العقدي ويشمل:

(أ) الدين كأصل محكم للبشرية مقارنة في الإلحاد.

يقول الدكتور الطيب بوعزة: «إن الحاجة إلى فهم الوجود لا تُسد بمجرد الاستجابة إلى الحاجات البيولوجية بالانغماس المادي في عيش الوجود، و على المستوى الجمعي لا يكفي لوجود المجتمع وجود كينونة بشرية وإطار جغرافي بيئي حامل لها، بل لابد من معنى حامل أيضاً، يتمثل بسردية للحمة الجماعة وساند لها .

و لهذا لابد من وجود معنى كلي (دين) ينظم هذه الحاجات البيولوجية والاجتماعية لتصبح ذات هدف وغاية، وهذا ما لا يمكن للمادية فعله»[1].

هنا مربط الفرس حيث إن الحاجة التي تدفعنا لفهم الكون ومحاولة تعليله - كما وضحنا سابقاً - لا يمكن إشباعها بترك الإنسان فريسة لرغباته المادية، بل إن تكوين المجتمع بما يحمله من تعقيد وأنظمة لابد أن ينطلق من أساس أو رؤية ناظمة للعلاقة بين أفراده، فهذه الرؤية بغض النظر عن تفاصيلها هي بمجموعها

(١) د. الطيب بوعزة ، الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية ، الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص (١١/ ١٢) بتصرف.

دين ما، وعليه يكون الأساس الأول لمنطلق فهم الوجود ليس الفراغ الإلحادي الذي يعتبر الإنسان صفحة بيضاء أو ورقة مهملة في مهب الكون، بل هو الدين الذي يُعطي معنى الهدف والغاية للكون والحياة.

هذه من ناحية تأسيس الرؤية وتبرير الوجود الإنساني، ماذا لو انتقلنا إلى التاريخ وكان السؤال: ما المحكم في تاريخ البشر هل هو الدين أم الإلحاد؟

يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون: «قد وجدت وتوجد جماعات إنسانية بدون علوم، وفنون، وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة»[1].

إذاً من ناحية الأصل والمعنى الذي تقوم عليها البشرية كان الدين هو الأساس ومن الناحية التاريخية لن نجد جماعة دون معابد؛ فيكون الدين أصلاً محكماً لا يمكن فهم البشرية أو إيجاد معنى لوجودها من دونها لا على مستوى التعليل ولا على مستوى التاريخ.

(ب) الغاية و البحث عن المعنى كأصل محكم في حياة البشر مقارنة بفوضى – متشابه – الإلحاد.

ننطلق في هذه الجزئية من حدث غريب، حيث وجد الجيش الأمريكي مشكلة في أن عدد المنتحرين من أتباعه فاق عدد المقتولين بالحروب حسب تقريراتهم[2]، وفي دراسة العلامات التي تظهر سبباً للانتحار عند الجنود كان عامل ضعف أو غياب القيم الروحية وغياب المعنى والغاية من الحياة عاملاً مؤثراً كسبب من أسباب الانتحار، وفي دراسات نفسية أخرى تضع معرفة الغاية من الحياة كدليل مؤثر على سلامة الصحة النفسية[3].

وفي هذا أيضاً يقول الملحد الشهير نيتشة: «من عنده (لِمَ) يستطيع العيش تحت أي (كيف)»[4].

---

(١) أصلاَ الأخلاق والدين – فرنسي – ص : ٧.

(٢) http://www.theguardian.com/world/2013/feb/01/us-military-suicide-epidemic-veteran

(٣) Keyes CL. The structure of psychological well_being revisited. journal of personality and social psychology 1995; 69: 719_190

(٤) Frankl VE. Man's Search of meaning: an Introduction to Logotherepy (I.Lasch Trans). Fourth edition . Beacon Press. P:84.

ونجد في تجارب السجون العجب في هذا الباب، فما الطاقة التي يحتفظ بها الإنسان والتي تشكل كل هذه القوة لمواجهة الحياة والتي إذا خفتت قرب من بوابة الانتحار، إنها الغاية وشعور الإنسان أنه ليس ورقة في مهب الريح وأن الحياة سلم عبور لما بعد، وليست قبراً للفناء لا معنى فيها ولا غاية كما ينظر الإلحاد بفوضويته.

يقول الدكتور الطيب بوعزة: «لم يسبق أن انتظم الوجود البشري دون بلورة رؤية دينية أو ميتافيزيقية ينهض عليها ذلك الوجود؛ الأمر الذي يبين أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في الوجود دون أن يستفهم عن معناه و يفكر في مدلوله»[1].

ومن الناحية المنهجية الأساسية نعلم أن الإنسان كائن باحث عن المعنى، وأن المعنى هو جزء أصيل في رحلة حياته، وهذا المعنى يوجهه لدراسة الغاية من وجوده ووجود الكون، وهنا يحضر المحكم الكوني ليشبع هذا التطلع وهذا العطش نحو الغاية؛ فهذا الكون بكل تنظيمه ودقيقه وقوانينه يشير إلى خطة إلهية لا عبثية فيطلبها ويبحث عنها فلا يجد أمامه إلا الدين؛ لأن العلم - والتجريبي منه خاصة - عاكف على سؤال الكيف بل ترى معتنقه يهرب من سؤال لماذا، كما فعل ريشتارد دوكنز عند ما سُئل عنه فأجاب: هذا سؤال لا معنى له بل إنه سؤال سخيف[2].!

وأيضا من خلال السياق التاريخي يتضح لنا أن المحكم من تاريخ البشر هو تأسيس رؤى تنظم وجودهم وتحاول البحث عن غايتهم ومعنى وجودهم فالغاية أمر محكم في حياة البشر ومغامرة التخلي عنها كما يفعل أهل الإلحاد أو التقليل من أهميتها يقرب من بوابة الانتحار، بل الأعجب أنه يبطل العلم نفسه فكيف ذلك؟

---

(١) المرجع: الدين من المنظور الفلسفي الغربي – الفلسفة الوضعية أنموذجا ، مجلة التسامح، العدد ٢٦ ربيع ١٤٣٠هـ.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=LSZ_fsG5uMg .

قوام العلم على مسلمة غير مبرهنة تتلخص أن هذا الكون يمكن فهمه وأن هناك أهمية وغاية من هذا الفهم ستنفع البشر وتسهل عليهم حياتهم وتعطيهم معنى لهذه الحياة؛ فلو نحينا مفهوم الغاية – الغريزي – لقتلنا روح البحث واسقطنا معنى العلم.!

ولو قلنا هل يمكن للعلم التجريبي بأدواته إثبات أن هناك غاية من وجوده لما استطاع.!

(ج) أثر أداة المحكمات في الحفاظ على الاتزان المعرفي عند الشخص.

يدخل الشاب مجموعات على الفيس بوك أو مواقع تثير الشبهات الإلحادية في نية سليمة ونفس تتوق للدفاع عن دين الله، ولكن نادراً ما يخرج ولم يتأثر بهذا الكم من الشبهات الذي تعصر القلب وتعكر الوجدان، ومن هذا لابد في الأساس من التحذير والتحذير من التصدر لهذا الملف دون تأصيل شرعي وعلم متين، يساعد في بناء المناعة من هذه الفتن التي تعرض على القلوب عوداً عوداً فإن أشربها واسود أصبح كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً – كما بيّن نبينا عليه الصلاة والسلام في الصحيح –، و في هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم: «القلوب ضعيفة والشبه خطافة»[1]، فليس من العقل إقحام القلب على شبهات الإلحاد من باب الحرقة على الدين؛ لأن هذا ضرره أكبر بكثير من نفعه، ففي الغالب لا يخرج عن نتيجتين: الأول أن يخرج الشخص وقد ألحد أو تعلق بقلبه ما ينغص صفاءه، أو أن يقدم حجج الدين بشكل هزيل فيزيد ملحداً ضلالاً أو ينقل متشككاً للإلحاد الكلي؛ بسبب ضعف بضاعته العلمية وأدواته المنهجية.

ولأجل خطورة هذا الأمر أطرح أداة المحمكات لتكون عاصماً للشباب من هذه الشبهات التي تأتي للشخص دونما استدعاء، وفي المثال يتضح المقال:

لنفرض أن شخصاً جلب صورة من على صفحات الشبكة العنكبوتية لمولود ولد وفيه نوع من الإعاقة ثم أتبعها بـ«أين حكمة الله ورحمته في ذلك؟» ولنفرض أيضاً أن الشخص لا يعلم جوانب من هذه الحكمة فما الحل؟

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٤٣.

الحل يكمن في إعادة النقاش للأصل فنقول: انظر إلى من حولك من المواليد ومن البشر هل ترى في خلقهم الأغلب – المحكم – الصحة أم الإعاقة، الحكمة أو العبث ونستحضر مجموعة من محكمات خلق الإنسان – سأتكلم عنها في نهاية البحث إن شاء الله – ثم نعقب ونقول المنهج العلمي الصحيح أنه إذا جهلت أمراً ما في سياق علمي معين أن تعيده لمحكمه، لو أعدت هذا الحالة من الإعاقة إلى أصلها لعرفت أن هناك حكمة وأن هناك رحمة فهي موجودة مبثوثة وإن غابت عنك، وليس لزاماً عليك معرفتها كلها، فلا يعلم دقائق الخلق وكلية الحكمة إلا العليم الخبير، وهذا متسق حتى مع العلم التجريبي فالعلماء إن ارتبكوا في بعض مناطق العلم لم يقفوا البحث ويقولوا أن الأمر لا غاية منه، بل يسترشدون بما ثبت عندهم من محكم الكون وغايته ودقته فيكملون بحثهم.

ولهذا من الناحية المجملة تمنح أداة المحكمات نوعاً من التوازن المعرفي بأن تطمئنه بأن ما جهل له حل فيما أحكم من الأمر، فلا يتخلخل عقله مع أقل شبهة أو يزيغ قلبه بما اشتبه عليه مما جد من العلوم والمعارف.

٢- الأثر النفسي وقيمة أداة المحكمات في الاتزان النفسي و سلامة الصدر عند الأفراد.

تفريعاً على ما سبق أن المحكم في حياة البشر هو البحث عن المعنى، ثم تأسيس الغاية من خلال هذا المعنى، يقول رائد الطب النفسي الذي عانى من معاصرة حربين عالميتين والذي عاش آلام السجن فيكتور فرانكل: «إن اكتشاف المعنى في الحياة يقلل من فرص اليأس والاكتئاب والانتحار».[1]

إن هذه القوة الغريزية التي تجعلنا نتطلع لغاية ما والتي تحثنا على البحث عن معنى لوجودنا لا يمكن أن تنتظم داخل منظومة العبث الإلحادية، وتغييب هذه الغريزة سيجعلنا أمام انهيار المعنى كما يقول الفيلسوف فرانسوا ليوتار «لقد

(١) Frankl VE. Man's Search of meaning: an Introduction to Logotherepy (I.Lasch Trans). Fourth edition . Beacon Press

أصبحنا عاجزين عن إعطاء معنىً للوجود، وهذا المعنى يتم البحث عنه في الدين وكأن العودة ستوفر الأساس الصلب الذي بواسطته يتم تفسير التاريخ، واسترجاع الأصل الضائع المنسي الذي منه ينشأ كل شيء، وإليه يعود، وذلك بعد الفراغ الذي خلَّفه انهيار الحكايات الميتافيزيقية - المعتقدات التي ما وراء الطبيعة- الكبرى»[1].

فالحل هو بالعودة لمنبع المعنى وأساسه الذي هو الدين والذي بدوره يؤسس لرؤى وغايات يعجز عنها الإلحاد و علمه التجريبي، والدين يؤسس المعنى من خلال عدة أدوات من أهمها المحكم الغريزي الذي وضع في نفس الإنسان فجعله يتوجه للكون والمحكم الكوني الذي يتفق مع هذا المحكم الغريزي؛ ومن خلال هذا التحليل يتضح بجلاء ما أهمية أداة المحكمات في الحفاظ على التوازن النفسي للشخص ومنعه من الانزلاق في عدمية الرؤية أو قرار الانتحار.!

(١) فرانسوا ليوتار، شرط ما بعد الحداثة - فرنسي - ص : ٦٤.

أثر أداة المحكمات على
أمن المجتمع ضمن عدة جوانب

● **الجانب الأخلاقي ورد الشبهات المثارة حول الأخلاق باستخدام أداة المحكمات.**

يتجه الملحد لنفي أي شيء وراء عالمه المادي المحسوس بالتقليل من قيمة الأخلاق التي يحكم عليها بـ«عدم إطلاقيتها»، ودليله على ذلك أن المجتمعات لم تتفق عليها؛ فما يكون أخلاقياً في (س) من المجتمعات قد يكون غير أخلاقيٍّ في (ص) من مجتمعات أخرى!.

ولحل هذا التناقض الظاهري في قول الملحد نستطيع أن نُدمج الفعل الأخلاقي داخل منظومة المحكمات، فيكون النموذج كالآتي:

١- مجمل الأخلاق مثل(الصدق، الكذب، الرحمة، الإيثار، الحياء - مجملاً -،....) متفق عليها على مر تاريخ البشرية، وحتى في هذا العصر الذي تزلزلت به الفطرة، فالأصل المحكم هو اجتماع البشرية على إطلاقية جملة كبيرة من الأخلاق.

٢- بعض الأفعال لم تتفق عليها المجتمعات هل هي داخل النطاق الأخلاقي أم لا؟ (لنفرض جدلاً مثل: الزنا في الغرب، وزواج المحارم، بل وصلت لمداعبة الأطفال جنسياً كما ينافح عنه ريتشارد دوكنز). فهذه الخلافات بين المجتمعات تنبع من المتشابه الذي يختبر الله به عباده ويرى منهم هل يُسلمون للدين في البت بها أم سيحكمونها لإبطال المحكم ومنها لإبطال قيمة الخير والشر تبعاً؟!

طبعاً هذه من الناحية العامة والمجملة كما قلنا إن أداة المحكمات تُعنى بتزويدك إطاراً عاماً للإجابة على الشبهات وإن غاب عنك حلها بإرجاعها إلى محكمها.

إذاً فمبدأ إرجاع فروع إلى أصولٍ ما، ونتائجَ إلى مقدماتٍ ما، هو نفسه من محكمات السعي البشري، والآن لنسأل سؤالاً جوهريا: ما الأصل في الأخلاق

وما الذي ينبغي أن نردها لبعض المتشابه فيها أم أن نرد هذا المتشابه لمحكمه فيتسق الحكم عقلاً؟

مما سبق يتبين أنه لا بد لآحاد الممارسات من أصول مثلما أنه لا بد لآحاد نتائج العقل من أصول؛ فتكون حجة المحكم في الأخلاق حجة ملزمة لرد الآحاد المختلف عليها للأصول المجمع عليها.

وهنا يحضر إشكال مهم أن المتشابه من الأخلاق سيؤدي إلى نزاع وعدم حسم والتنازع شر؛ لأن البشر يسعون منذ أن وجدوا للائتلاف والوحدة، ولكن ثبت أن تفاعل البشر مع بعضهم البعض لا يزيد تحقق هذا المطلب إلا بعداً، فتعينت الحاجة لحكم غير بشري (هو الوحي).

الخلاصة:

وبناءً على هذا النموذج نُرجع الخلاف في فعل معين «هل هو من الأخلاق أم لا؟» إلى المحكم الذي يبت أن هناك قطعاً منظومة أخلاقية تحكم البشر، لكن من ناحية البت في «هل هذا الفعل المتشابه والذي اختلف عليه البشر هل هو من الأخلاق أم لا؟» لابد أولاً أن نتجه للوحي فإن وجدنا في الوحي أن الفعل (س) ولنفرض أنه ممارسة الجنس قبل الزواج = حرام فهنا نبت في حرمته؛ لأن الشريعة أتت لتسد هذا المتشابه في حياة البشر بحكمتها وصدقها.

- **أثر أداة المحكمات في حماية المجتمع من الأفكار الوافدة بما تقدمه للشخص والمجتمع من أساس أخلاقية وعلمية متينة لرد المتشابهات لأصولها .**

يقول أنتوني غدنز: «إن القيم الأخلاق التقليدية التي كان ينطوي عليها الدين والتي كانت تقوم بمهمة ضبط وتقديم المعايير سرعان ما تبدأ بالتفكك مع البدء بالتنمية الاجتماعية الحديثة، مما يدفع أعداداً كبيرة من الأفراد في المجتمعات الحديثة إلى الإحساس بأن حياتهم اليومية لا معنى لها ولا دلالة، أي: حياة فوضوية»[1].

(١) أنوتني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة الدكتور فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ص ٦٥.

ويشير عالم الاجتماع الشهير دوركايم «إلى أن الفوضى تشكل في مجتمعاتنا الحديثة عاملاً منتظماً ونوعياً من عوامل الانتحار»[1].

وبناء على ذلك؛ المجتمعات الحديثة تفتقد إلى المعيارية التي بدورها تشجع على الفوضى المفضية للانتحار الفردي والانحلال المجتمعي.

ونحو تجنب حالات الفوضى والانحلال يتم تفعيل أداة المحكمات وتأكيدها على أصالة الأخلاق من جهة تأصيل القيم الأساسية - التقليدية بِعرف علماء الاجتماع - التي بدورها تعطي الفرد والمجتمع مناعة وقوة من عدم التفتت والانهيار والدخول في الانتحار والضياع المعرفي.

ويلعب الإعلام دوراً كبيراً في التلاعب في حياة البشر هذه الأيام، وهذا الوحش الذي يكتسح بيوتنا من خلال ضغطة زر فيشكل معتقداتنا عن ذواتنا والكون، ويهدد أمن وسلامة مجتمعنا وأفرادنا، فالإعلام اليوم يحاول صناعة توجهات البشر عبر بوابة الاستهلاك فيجعلهم كائنات لا هدف لها ولا غاية خارج الإشباع البيولوجي المادي، وأمام هذا الكم الهائل الذي يُعرض على أفرادنا كان لابد من إيجاد مجموعة وحزمة من الحلول التي تساعد الفرد للتصدي لهذا الإغراء والتغريب المستمر، ومن ضمن هذه الحلول التي يجب أن تطرح أداة المحكمات بما لها من تقوية مناعة الفرد أمام هذا الكم من المعلومات وعليه تؤسس مناعة المجتمع؛ فلا يوجد مجتمع أقوى من مجموع أفراده، فللحفاظ على المجتمع لابد:

١- من تكثيف حضور معاني المحكمات في الإعلام بكافة أشكاله.

٢- شرح وإعطاء الأمثلة عن هذه الأداة في خطب الجمعة لتصل إلى أكبر عدد من الناس.

٣- تفعيل الدورات المتخصصة للشباب خاصة حول هذه الأداة ومناط تفعيلها.

---

(١) Durkheim, E. II suicidio. Studio di sociologia, Rizzoli, Milano 1978, pp. 265-70

٤- توسيع نطاق استخدامها في الأبحاث التي ترد على الشبهات عامة والشبهات الإلحادية خاصة.

● **قيمة أداة المحكمات في الحفاظ على أمن وتماسك المجتمع من خلال ما تصنعه من اتساق فكري ومشترك مجتمعي.**

ننطلق لفهم أهمية هذه النقطة من خلال سؤال جوهري: التنازع خير أم شر؟ و الجواب أنه شر؛ لأنه مهما سعوا للإئتلاف تنازعوا وهي سنة كونية، فما الحل؟

الحل في تحكيم المحكمات المجمع عليها ومنها ما سبق:

(أ) أن الأخلاق هي أصل أساس في حياة البشر فلا نقبل المساس بها بناءً على قيم حداثية أو شبهات إلحادية تزرع بذرة التفرقة والتمزق بالمجتمع.

(ب) أن الدين والبحث عن المعنى أصل محكم يوجه حياة البشر وعليه نرفض أي دعوة لهدم هذا الثابت بحجة حرية الفكر أو التنوير؛ لأن حرية الفكر ليست شيئاً مطلقاً لا يحكمه ضابط ولا يلجمه خطام!.

(ج) إعادة الاعتبار لقيمة الأسرة كقيمة محكمة تساعد في تماسك المجتمع فكرياً وتبني بين أفراده المعاني المشتركة، يرى عالم الاجتماع تالكوت بارسونز: «أن العائلات المستقرة والتي تدعم أطفالها هي المفتاح للتنشئة الاجتماعية الناجحة»[1]، والعائلات التي تساعد في التنشئة الاجتماعية الناجحة لابد أن تكون مستقرة ومصدر الاستقرار لا غرو أن تكون بمجموعة من الأفكار المحكمة القائمة على الدين وصحيح الأخلاق فتساعد تبعاً في تماسك المجتمع وبنائه المعرفي المشترك.

(١) أنوتني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة الدكتور فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ص ١٩٢.

فصل تطبيقي أرد فيه على شبهات متعلقة في علم الأحياء والفيزياء والعلوم الإنسانية من خلال أداة المحكمات

١ - في رد الإشكالات الفيزيائية:

يشغّب الملحد كثيراً في أن هذا الكون الشاسع الكبير المترامي الأطراف لا غاية له ولا مغزى! وأن الإنسان ورقة ملقاه في مهب الريح لا يعبء بها الكون، ولننطلق من مجموعة من الأسس المحكمة التي تنفي هذا الإشكال:

يقول عالم الأحياء البيولوجية (Michael Denton):

«مثلا: إذا كانت قوة الجاذبية الثقالية أقوى بتريليون مرة، فالكون سيكون غاية في الصغر وتاريخ حياته قصير جدا! فمن أجل نجم متوسط كتلته أقل بتريليون مرة منها للشمس! فسوف لن تمتد حياته لحوالي سنة، ومن ناحية أخرى إذا كانت الجاذبية الثقالية أقل طاقة، فلن تتشكل نجوم ولا مجرات إطلاقا، وكذلك فإن العلاقات الأخرى والقيم ليست أقل حدية من ذلك.. فإذا ضعفت القوة القوية بمقدار قليل جدًا فسيكون العنصر الوحيد المستقر هو غاز الهيدروجين، ولن توجد ذرات لعناصر أخرى في هذه الحالة، و إذا كانت أقوى بقليل بعلاقتها مع الكهراطيسية عندئذ: فستحتوي نواة الذرة على بروتونين، وسيكون ذلك مظهرًا لاستقرار الكون عندئذ، وأنه لن يحتوي على غاز الهيدروجين، وإذا تطورت نجوم أو مجرات فيه فسوف تكون مختلفة تماما عن طبيعتها الحالية.

واضح أنه إذا لم يكن لتلك القوى المختلفة و ثوابتها القيم التي أخذتها بالضبط فسوف لن يكون هناك نجوم ولا مستعرات ولا كواكب ولا ذرات ولا حياة»[1].

(١) Michael Denton، «Nature's Destiny :Hom the laws of Biology Purpose in the universe»، The New York The free press .1998. p.12-13.

و يقول البروفسور (Gerard F Gilmore):

«الطاقة السوداء هي التي تجمع كوننا، و دون هذه الكمية من الطاقة السوداء فإن الشمس ستبتعد عن مجرتنا، و عليه لن يكون هناك حياة»[1].

والحجة هنا أن هذا الضبط المحكم الغايات في أدق التفاصيل الكونية لا يمكن أن يكون عبثاً، بل إذا ردننا المسألة لمحكمها لعلمنا أن هناك غاية أكبر وأعلى من هذه الدقة على مستوى التفاصيل، فالذي ربط الكون فيزيائيا بغاية هي في تمام الدقة والإبداع في الجزئيات لن يترك المعنى الكلي والغاية الكبرى من هذا الربط.

٢- في رد الإشكالات التطورية:

يقول التطوري Jay Stephen Gould:

«ما كانت نظرية الانتخاب الطبيعي لتحل محل مذهب الخلق الإلهي لو كان هناك تصميم واضح رائع منتشر في كل الكائنات، لقد فهم تشارلز دارون ذلك فركّز على المعالم التي لم تكن لتوجد في عالمٍ أُسس وفق الحكمة البالغة. و هذا المبدأ ما زال صحيحا اليوم»[2].

من أسس الإلحاد هذه المعالم التي يسمونها بالأعضاء الضامرة الغير مستخدمة، وحجتهم فيها أنه بما أنها لم تُستخدم فقد ورثها الإنسان عن سلف مشترك، وعدم عملها أيضاً ضرب لفكرة التصميم المبدع الذكي.

لنسلم لهم جدلاً أن العلم لم يكتشف ل (س) من الأعضاء وظيفة فهل يصح إطلاقاتهم، مجدداً لنستحضر الأصل المحكم في خلق الإنسان في خلق البروتين:

«وجد في الطبيعة أكثر من ٢٠٠ حمض أميني مُختلف، ويوجد في سيتوبلازم الخلية ٢٠ حمض أميني، والمطلوب من RNA الناقل أن ينقل لنا في كل مرة حمض أميني يتوافق مع الترتيب الخاص ببروتين كبروتين الكولاجين، وبما أن سلسلة

---

(١) في مقال على موقع (Voice of America) بعنوان:
(Scientists plan to make 3-d map of the milky way)

(٢) Ever since Darwin – Jay Stephen Gould – P.91

بروتين الكولاجين تتكون من ١٠٥٥ حمض أميني إذن الاحتمالية لتخليق بروتين الكولاجين بالصدفة تصبح (١٠^٥٢٧) والأمر لن يتوقف عند ذلك؛ فلابد أن تكون السلسلة عسراء - فالأحماض الأمينية في الطبيعة أيمن وأيسر كأنهما مرآة، وعلى الرغم من التماثل التام ونفس معدل تواجد الأيمن هو تواجد الأيسر إلا أن الاختيار يكون أيسر فقط لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي بينما الأيمن لن يسمح بذلك وهنا يصبح (١٠^٥٢٧)مضروبا في ٢ ليصبح (١٠^١٠٥٤) وهذا هو الجنون الرياضي، فاحتمالية الشيء إذا زادت على (١٠^٥٠) فإنها تساوي الصفر رياضيا»[١].

هذا على مستوى جزء بسيط مما يتكون منه البشر ودع عنك مليارات الخلايا التي في كل خلية منها ألاف المصانع، ودع عنك التشفير المحكم الذي يتم عن طريق الشريط الوراثي، كل هذه الأمور ترجعنا إلى أصل الحجة وهي: كل هذا الإحكام في الخلق يجعلنا نقول إن هذا العضو الذي لم تُفهم غايته إلى الآن لابد وأن له غاية بناءً على هذا النظام المحكم وإلا وقعنا بالتناقض والخلل المعرفي والعلمي.!

٣- المحكم ونقد أطروحة سام هاريس في الحكمة الإلهية:

يبدأ سام هاريس مقاطعاً له ي ذكر فيه أن عدد الأطفال الذين يموتون قبل سن الخامسة، ويقول إنهم بالملايين، ثم ينسج على هذه المقولة حججا (عاطفية) في ظلم الإله وكيف يتركهم للموت؟ إلى أن يصل إلى أن الإله غير موجود!

لنستعرض في البداية حسابًا بسيطًا قمت به في يوم ٣٠/ ٣/ ٢٠١٤م في الساعة ٤٠ ,١٠ دقيقة لعدد المواليد و الوفيات في العالم معتمدا على موقع http://www.worldometers.info و كان الحساب كالتالي:

عدد المواليد= ٣٣٦٨٦٦٠٧ * ١٠٠ / ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠ =٤٨ ,٠٪

عدد الوفيات= ١٣٨٩٩٩٠٣ * ١٠٠ / ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠ =١٩ ,٠٪

(١) الدكتور هيثم طلعت، رحلة البروتين، مجلة براهين، العدد الأول، ص ٧.

حساب بسيط يرشدك إلى أن المحكم هنا نعمة الحياة، حيث تساوي تقريباً ثلاثة أضعاف نسبة الوفيات!

و السؤال المطروح بعدها هو: لماذا لا ينظر الملحد إلى هذه النسبة المحكمة وما يتبعها من فرحة ونعمة وخَلق وترتيب ونظام، ويترك نفسه لمتشابه الأمر الذي لا يدري حكمته.!

و كما سأل الدكتور هيثم طلعت في مقال له: «كيف يفسر الملحد معضلة الخير في الأرض وهي الأصل والأساس»[1]؟!

فانظر فيمن حولك (أغلبهم): هل الأصل فيهم الصحة أم المرض؟ لا شك أن الصحة هي الأصل والحياة هي الأصل، إذًا لماذا هذه النظرة من الملحد وكأنه يريد أن يقول إن الأصل هو المرض والموت؟! و لتفسير عميق لهذه الظاهرة انظر في قول الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران: ٧).

ويُهمل هاريس قضية في غاية الأهمية في المبحث الوجودي، ألا وهي (مُحكم الحكمة والإتقان)، فالشخص المتسم بشدة الإتقان والبناء الفكري -كما أشرت في التعريف المعتمد- سيجعل موت الأطفال لحكمة وعلم: لا عن عبث وعجز!

و لنبين القضية بشكل أوضح فلنتكلم عن الميزان الكوني في ظل واقعة شهيرة حدثت في ولاية أريزونا الأمريكية تختص بالموت، حيث كان يوجد بها في عام ١٩٠٧م عدد ٤٠٠٠ أيل -أي غزال- بسلام، ووفق التوازن الطبيعي المُحكم الذي وضعه الله، فسمحت السلطات الأمريكية للصيادين بأن يصطادوا مفترِسات تلك الأيائل في تلك المنطقة - مثل الكوجر والذئاب- ظنا منهم بأنهم سيكونون أرحم من الله بتلك الأيائل!، فشرع الصيادون في الاصطياد بالفعل

(١) معضلة الخير - د. هيثم طلعت - الإلحاد في الميزان. (http://www.laelhad.com/index.php?p=2-0-247)

وقتلوا الكوجر والذئاب إلى أن تناقصت أعدادها بشكل ملحوظ، فماذا حدث بعد ذلك؟؟ في عام ١٩١٦م أصبح عدد الأيائل ١٠٠٠٠٠!! نعم: مئة ألف! ولكن كيف ستتغذى كل هذه الأيائل؟ بعد عدة أعوام: هلك نصفها لعدم توافر الطعام الكافي! وبعد أن توقف الصيادون عن اصطياد الكوجر والذئاب: عاد عدد الأيائل إلى قريب من العدد السابق ٤٠٠٠ حيث وصل في آخر رصيد سنة ١٩٣٩م ١٠٠٠٠ أيل، و هذا تم وفق التوازن الطبيعي الذي فرضه الله، ووفق حكمته[١]!

فكيف غاب عن الملحد أن موت الأطفال أو أي روح على الأرض تكون عبثاً، ولماذا لم يُرجعها للأصل المُحكم في الكون و هو الحكمة؟ والتي هي هنا التوازن الدقيق العجيب في نظام الكون، وخاصة أن علة القياس واضحة في قياس الأيائل على الأطفال. مع التنويه على أن موت الأطفال يتبعه اختبار لهم في الآخرة، كما جاء في الأحاديث الصحيحة[٢]، و مثلهم مثل كل مَن لم تبلغه رسالات الله في الدنيا، و إنما كان امتحانا و ابتلاء لغيره.

و في نهاية الرد على أطروحة هاريس:

ماذا يقدم الإلحاد لأهل مَن يموت مِن الأطفال، و ماذا يقدم للأطفال هؤلاء، مِن منطلق ما يقرره مِن أن الطبيعة جبرية؟ لأنه حين تقول ما ذنب فلان أن يترعرع في بيئة لا تؤمن بالدين الصحيح - و هذا يرشد إلى قوله بتأثير البيئة المباشر على البشر - فلماذا تعترض في الأساس على فعلها بالقتل؟ مَن أعطى الملحد هذا الحس الإنساني ليعترض على الفعل المادي الذي هو الأصل عنده؟!

و عليه فالإلحاد لا يقدم شيئًا في الحقيقة إلا العدم.

---

(١) The Lesson of the Kaibab - Biologycorner.com. http://www.biologycorner.com/worksheets/kaibab.htm]

(٢) يُنظر أحاديث امتحان أهل الفترة في عرصات يوم القيامة مثل الحديث الذي أخرجه قاسم بن أصبغ والبزار وأبو يعلى وابن عبد البر في التمهيد: «يُؤتى يوم القيامة بأربعة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الهرم الفاني، كلهم يتكلم بحجته».

أبيض

خاتمة

في النهاية أسال الله أن ينفع بكلمات هذا البحث؛ بأن يرد به ضائعاً أو يزيد في إيمان من تمكنت الشبهات من قلبه، وأدعو كل من له باب من أبـواب الـدعوة أو نُصب للدفاع هن هذا الدين أن ينظـر إلى هـذه الأداة ويحـاول أن يفعلهـا ويبنـي عليها حتى يعم الخير ونقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

وما كان من خير فمن الله وحده وما كان شر فمن نفســي ومـن الشـيطان، والحمد لله رب العالمين...

أبيض